من شؤون المسلمين والعالم

﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ... ﴾ [هود : ١١٣]

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٩]

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ... ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ... ﴾ [الحجرات : ١٠]

﴿ **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١١]

مؤتمرات القمة وأزمة الثقة

تنعقد مؤتمرات القمة على مستويات مختلفة ، ثنائية وثلاثية وجماعية ، على مستوى أصحاب اتجاهـــات الحكـــم المتشابهة أو المتناقضة ، على مستوى الدول العربية أو البلدان الإسلاميّة .. ثمّ تنتهي ببيانات مـــشتركة ، أو مواقـــف وسطية ، وقد تسبقها وتعقبها الحملات الإعلامية الشديدة بل والاقتتال العنيف ، ولكنّها على الدوام كانت ولا تزال دون مستوى تغيير حقيقي للأوضاع القائمة ، ودون مستوى إيجاد الحلول الحاسمة لقضايا مستعـــصية أو طارئـــة .. فلماذا ؟ ..

يتمّ الاستعداد لكلّ مؤتمر قمة بمؤتمر تمهيدي تحضيري ، يستغرق الأخذ والردّ فيه على جدول الأعمال جلّ الوقت والجهد ، وينتهي في غالب الأحوال بحلول وسطية ترضي الجزء الأكبر من الحكام الذين سيشاركون في مؤتمر القمّـــة المعنيّ .. فكيف توضع هذه الحلول الوسطية ؟ ..

مثال مؤتمر القمة (الإسلاميّ) الجديد يبيّن أن القضايا الخلافية الأساسية هي الحرب بين العراق وإيران ، وقـــضية الاحتلال السوفييتي لأفغانستان ، ثمّ الخلافات القائمة بين الحكم في سورية والحكم في كلٍّ من العـــراق والأردن ، ثمّ قضية التحرّك الليبي الجديد في وسط إفريقيا على أرض تشاد .. وتأتي قضية فلسطين في النهاية ، كأمر لا خلاف فيه

بين معظم أنظمة الحكم القائمة في الوقت الحاضر ، والتي تسعى للحلّ السلمي على أساس التسليم بما اغتصبه اليهـــود قبل عام ٦٧م على الأقلّ .. وجرت الاتصالات ، وتنقّل بعض وزراء الخارجية وبعض الزعماء من بلد إلى بلد خلال الشهور الماضية وحتى الأيام الأخيرة ، ثمّ توّج الاستعداد بمؤتمر وزراء الخارجية التمهيدي في الطائف .. وتقرّر أن يعلن اسم (مؤتمر قمة فلسطين وقضية القدس) عنواناً لمؤتمر القمة الجديد .. فهل ستوضع في المؤتمر صيغة سياسية وعسكرية واقتصادية عامّة تتفق عليها دول متعاونة متفاهمة ، وتستهدف تحرير أرض الإسراء والمعراج من الساحل إلى الـــساحل وإعادة كرامة المسلمين باستعادة القدس شرقيها وغربيها ؟ ..

مثل هذا السؤال لا يطرحه في الوقت الحاضر إلاّ أصحاب الاتجاه الإسلاميّ الذين لا مكان لهم في مـــؤتمر القمـــة (الإسلاميّ) ..

والجواب عليه معلن من قبل مرّات ومرّات بمناسبة ودون مناسبة : الأمور لا تتمّ بين عشية وضحاها ، يجب على الدول العربية والإسلامية أن تحلّ مشكلاتها المختلفة أوّلاً ، قبل خوض معركة كبيرة ! .. ولو أغمـــض المتـــسائلون المخلصون أعينهم عن حقيقة عدم وجود أيّ دليل كبير ولا صغير على حسن نيّة أصحاب الجواب وحسن نيّة أنظمة الحكم القائمة تجاه قضية فلسطين بأصالة أهدافها في التحرير الكامل والعودة .. فهل يبقى بعد ذلك أيضاً ، ما يـــشير في مؤتمرات القمة التي تنعقد تباعاً وعلى مختلف المستويات إلى أن المؤتمرين يخطون خطوة واحدة جدّية في طريق حلّ المشكلات الجانبية وإزالة الخلافات العديدة ؟ ..

مؤتمر القمة (الإسلاميّ) الجديد مثال أيضاً على الجواب ، وهو لم يبدأ بعدُ ساعةَ كتابة هذه السطور ، ولكـــن لا نحتاج إلى تفكير طويل للتنبؤ المنطقي بنتائجه :

– حرب العراق وإيران ستستمرّ ، وجلّ ما يمكن أن يفعله المؤتمر أن يصدر بياناً يرضي الفريق المشارك في المؤتمر ، ويتضمّن التأكيد على الرغبة في نهاية هذه الحرب .. ولكن دون اتخاذ خطوة علمية واحدة ، تزيل الخلاف من جذوره ، أو تبدّل أدنى تبديل في مواقف الدول المشاركة في المؤتمر ، بين مؤيّد للعراق علناً أو سرّاً ، وبين مؤيّد لإيران كلاماً واستغلالا ..

– قضية أفغانستان المجاهدة ستبقى قائمة ، تحرق أكباد المخلصين الصادقين الذين لا يملكون في أيديهم ما يكفـــي من الإمكانات لمواجهة العدوان السوفييتي الوحشي الرهيب ، ويرون من الإمكانات في أيدي المؤتمرين .. ويجدونها لم توضع سابقاً ولا يبدو أنّها ستوضع لاحقاً في خدمة القضية .. وكلّ ما قد يفعله المؤتمر أن يصدر بياناً يتجنّـــب فيـــه انزعاج أنظمة الحكم الموالية لموسكو بين عدن ودمشق وأمثالهما ، ولا يتعدّى حدود بعض التأييد الكلامي لـــضرورة أن يقرّر أبناء أفغانستان مصيرهم بأنفسهم ، وكأنهم لم يعلنوا مراراً وتكراراً عبر دماء المجاهدين على أرض أفغانـــستان نفسها ما هو المستقبل الذي يريدونه لأنفسهم

– الخلافات بين أنظمة الحكم في سورية والأردن والعراق ستسمرّ .. لمجرّد استمرار وجود هذه الأنظمة المتباينة في أهدافها وأساليبها ، ولو أزيلت بعض معالمها الظاهرية فلن تزول جذورها العميقة القائمة .. وكلّ ما يمكن أن يقـــوم به المؤتمر هو دعوة الأطراف الثلاثة إلى وقف الحملات الإعلامية المتبادلة ، أي مطالبة الأردن بعدم نشر شيء يتعلـــق بالأوضاع الداخلية الرهيبة في سورية ، ومطالبة العراق بعدم الاستمرار في اتهام نظام حكم سورية في عروبته ، ودعوة نظام الحكم في سورية لعدم كيله الاتهامات إلى نظامي الحكم في العراق والأردن .. ولكن ، هل يحتمل من قريب أو بعيد أن يدعو الحكام الآخرون أنظمة الحكم الثلاثة إلى النـــزول عند إرادة الشعب العربي المسلم في ســـورية والأردن والعراق ؟ .. إلى وضع زمام توجيه الأمور في يد الشعب نفسه ؟ .. وكيف يفعل الحكام الآخرون ذلك وهم أنفسهم لا يدعون لشعوبهم مجالاً لتسلّم زمام أمورها وقضاياها بأيديها ؟ ..

إنّ الشعوب لا تعرف فروقاً فيما بينها ، ولا تقاتل بعضها بعضاً ، ولا تقوم بحملات إعلامية ضدّ بعـــضها ، ولا تكيل الاتهامات بلا حساب تجاه بعضها .. إنما الخلافات القائمة خلافات بين أنظمة الحكم ، والنـــزاعات القائمـــة نزاعات تدفع الشعوب ثمنها ، ولا تزول الخلافات ببعض الحلول الوسطية الظاهرية يتوصّل إليها هذا المـــؤتمر أو ذاك وهذه اللجنة للوساطة أو تلك .. لتتوقف الحملات والاتهامات فترة من الزمن ثم تنفجر من جديد بانتظار مؤتمر جديد ولجنة وساطة جديدة

– قضية السياسة الليبية في وسط إفريقيا قضية قائمة بذاتها ، جذورها في نوعية الحكم القائم في ليبيـــا ، ونوعيـــة الأوضاع المؤلمة القائمة في وسط إفريقيا المسلمة ، ونظام الحكم القائم في ليبيا لا ينطلق على كل حال في خطواته ممّا يتقرّر أو لا يتقرّر في مؤتمر قمة على أيّ مستوى من المستويات ، والأوضاع المؤلمة القائمة في وســـط إفريقيـــا إنّمـــا تساهم في تردّيها وفي نفوذ الدول الأجنبية –كفرنسا– فيها سياسة أنظمة الحكم في البلـــدان الإســـلاميّة نفـــسها ، المستعدّة للتعاون مع الشرق أو الغرب استعداداً أكبر بكثير من استعدادها لتعاونٍ ما فيما بينها تصدّياً لنفوذ الـــشرق والغرب معا .. فهل ينتظر من مؤتمر القمة الجديد أن يساهم من قريب أو بعيد في تطوّر الأوضاع في وسط إفريقيا في أيّ اتجاه ؟ ..

– وقضية فلسطين .. التي جُعلت عنواناً للمؤتمر ، كم من مؤتمرٍ ومؤتمر من قبل جَعل قضيةَ فلـــسطين عنوانـــاً ، وبقيت القضية مجرّد عنوان ؟ .. كم من بيان وبيان صدر حول القضية وتوصية صيغت بشأن القـــضية .. واســـتمرّ مجرى تطوّر القضية في المؤخرة على قائمة المصالح الذاتية للدول المختلفة القائمة ؟ .. هل ينتظر من مؤتمر القمة الجديد أن يوجد نقطة التحوّل التاريخية في مجرى أحداث القضية فيضع حدّاً للنكبات بعد النكبات والهـــزائم بعـــد الهـــزائم والتسويات السلمية بعد التسويات والتخلّي عن الأرض بعد التخلّي والحصار على الشعب بعد الحـــصار .. ويـــضع الأسس التي لا بدّ منها لخدمة القضية خدمة حقيقية بوضع الجهود سائر الجهود في المعركة المشتركة ، وتحديد كـــلّ

تصرّف سياسي وعسكري واقتصادي على أساس حاجة المعركة ؟ .. لو كان الأمر أمر تمنّيات لتمنّينا علـــى مـــؤتمر القمة الجديد مثل هذا التحوّل ، ولكن (المعركة) لا وجود لها جدول أعماله أصلا ..

إنّ الأزمة الحقيقية التي يواجهها هذا المؤتمر وكلّ مؤتمر قمة ينعق على مختلف المستويات هي أزمة ثقة

الحكام الذين يجتمعون مع بعضهم لا يثق الواحد منهم بالآخر .. والحكام الذين يمتنعون عن الحضور يعلنون عملياً عدم ثقتهم بالمؤتمرين ..

الدول الكبيرة والصغيرة من الخصوم والأصدقاء على السواء .. لا تثق أصلاً في صدق ما يصدر من بيانات عـــن مؤتمرات القمة ، ولا تثق بقدرة أصحابها على التصرّف بموجبها .. على ضعف ما فيها ، فهي تعلـــم مـــن خـــلال الاتصالات المباشرة ما لا يكاد يعلمه المؤتمرون عن بعضهم البعض

الشعوب الإسلاميّة بين المحيطين فقدت الثقة منذ زمن طويل بأنظمة الحكم في بلادها ، فهي ترى على ســـاحة الواقع على كلّ صعيد ما يجعلها أبعد ما تكون عن انتظار خدمة المصلحة العليا للإسلام والمسلمين وخدمة القـــضايا المصيرية المشتركة في بلاد المسلمين .. عن طريق حكام المسلمين

والقول بأن أزمة مؤتمرات القمة هي أزمة ثقة ، لا يستهدف التعريض بالمؤتمرين ، بل يستهدف أوّلاً وأخيراً بيان الطريق لهم .. وللشعوب الإسلاميّة المستضعفة

إذا صدق المؤتمرون -كما يقولون- في نيّاتهم ، فليواجهوا الأزمة الحقيقية القائمة .. ليواجهوا أزمة الثقـــة بـــين بعضهم البعض باحثين عن حقيقة جذور المشكلات القائمة بينهم وواضعين المصلحة العليا للإسلام والمسلمين فـــوق كل مصلحة ، ومتخلّين عن ولاءاتهم للشرق والغرب ، ومتخذين الإجراءات العملية الواقعية بمؤتمرات قمة أو بـــدونها .. على طريق التعاون بدلاً من العداء

إذا صدقوا فليواجهوا الدول الكبيرة والصغيرة من الخصوم والأصدقاء بمعيار المصلحة العليا للإسلام والمـــسلمين طالما يسمّون مؤتمرهم مؤتمراً (إسلامياً) ، وليخطوا خطوة واحدة تبين أن عداء الغرب والشرق للإسلام والمـــسلمين وقضاياهم يعني خسارة الغرب والشرق لمصالحه في بلاد الإسلام والمسلمين ، بدلاً من استمرار الشرق والغرب علـــى توطيد النفوذ معاهداتٍ واتفاقاتٍ وقواعدَ وخبراءَ وسياسةً واقتصاداً ، هذا يعتمد على فريق من البلـــدان الإســـلاميّة يخدمه وذاك يعتمد على فريق آخر يخدمه .. ولو كان في تلك الخدمة ذلّ أنظمة الحكم نفسها تجاه الغرب والـــشرق معاً وإذلال الشعوب والتخلّي عن قضاياها المصيرية

إذا صدقوا فليعاملوا الدول الكبيرة والصغيرة من الخصوم والأصدقاء بمعيار المصلحة الحقيقية لقضية فلسطين الإسلاميّة طالما يسمّون مؤتمرهم (مؤتمر قضية فلسطين والقدس) ، وليخطوا خطوة واحدة تبيّن أن العداء المستمرّ من جانب الشرق والغرب للإسلام والمسلمين في قضية فلسطين بالذات يعني خسارة الغرب والشرق لمصالحها الوطيدة الوطيدة في بلاد الإسلام والمسلمين ، وما وطّدها سوى أنظمة الحكم نفسها .. وهي تعلم أن في ذلك التخلّي الأكبر عن قضية فلسطين والتنازل بعد التنازل على ساحتها تجاه اليهود ومن وراء اليهود في الشرق والغرب

إذا صدقوا .. فليحاولوا استعادة ثقة الشعوب بهم ، وما تستعاد الثقة ببيانات صدر من أمثالها ما تنوء بحمله العصبة أولو القوة من الرجال .. إنّما تستعاد بإعادة الحريات المصادرة لهذه الشعوب ، وإعادة الكرامة المهدرة لهذه الشعوب ، وتحقيق العدالة الاجتماعية في هذه الشعوب ، واعتبار الحاكم نفسه خادماً لشعبه لا طاغوتاً متسلّطاً عليه موالياً لأعدائه

والشعوب التي فقدت ثقتها بالحكام لم تفقد ثقتها بالله عزَّ وجلّ .. وبيان الطريق أمام الحكام واجب على المسلم المخلص ، فإن سلكوا طريق الحق ربحوا أنفسهم في الدنيا والآخرة ، وإن آثروا الاستمرار في طريق الباطل خسروا الدنيا والآخرة .. أمّا الشعوب فتكتسب في كلّ يوم جديداً بإذن الله ، يمضي حكامها حاكماً بعد حاكم ، وتبقى الشعوب ثقتها بالله عزَّ وجلَّ فوق كلّ حاكم .. وما استمرار التحكّم بها بغير ما أنزل الله إلاّ مصدراً يزيد قوّتها ويزيد وعيها تحقيق أوضاعها ويزيد تصميمها على الثورة الشاملة على كل صعيد .. وسيجد الحكام أنفسهم في يوم يزيّن لهم الشيطان أنّه يوم بعيد ، أمام إرادة هذه الشعوب المستمدّة من إيمانها ، الماضية بقوة إخلاصها ، المتزوّدة بزاد المعرفة بإسلامها .. الثائرة بكلّ طاقاتها لتغيير الواقع الفاسد وإقامة الواقع الإسلاميّ المنشود حياة وحكماً ، حرية وعدالة وكرامة .. وجهاداً في سبيل الله ماضياً إلى يوم القيامة حتى يتحقق الخير كلّ الخير الذي ينشده الإسلام لكلّ من يستجيب لندائه ، وحتى تتحرّر البشرية من قيود الجاهلية ويتمكّن كلّ إنسان من اختيار طريق الهدى بنفسه ، فمن أبى فليس على الله بعزيز أن يدخله مدخله